النفحة الثامنة عشرة: العمل الصالح في رَمَضَانَ

إخوانـي:

نعيش في هذه الأيام نفحات شهر رَمَضَانَ المبارك، وننتشي جميعاً بشذاها الفواح، فتعانقها القلوب، وتصافحها الأرواح بشوق وحب وحنين، فتهتزّ الجوارح لها طرباً، وتسعد بها النفوس وتبتهج، كيف لا، وهي موسم الطاعات والعبادات، وميدان الخيرات والقربات، يتقرب فيها بالصالحات إلى الله المتقون، ويتوب فيها المذنبون، ويرجع فيها الشاردون.

أيام مباركة ميمونة، العمل فيها متقبل، والخير فيها مضاعف، والحسنة فيها تضاعف إلى ما شاء الله، ومن هنا فلقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يكثرون في هذا الشهر من الأعمال الصالحة، ويتلمسون الخطى الموصلة إليها، لأنهم علموا أن العمل الصالح ثمرة يانعة من ثمار الإيمان، بل إنه جزء لا يتجزأ منه، وعلموا أن للعمل الصالح نتائج طيبة مباركة في الحياة الدنيا والآخرة، ومن أهم هذه الثمار ما يلي:

أولاً: من ثمار العمل الصالح أنك تستدر عطف السماء، ولطف الله تبارك وتعالى ووده ورضاه، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: 96]، وللتعبير بالود في هذا السياق وهذا الجو نداوة رخية تمس شغاف القلوب، وتملئ أقطار النفوس.

ثانياً: ومن ثمار العمل الصالح ما ذكره الحق تبارك وتعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النُّور: 55].

ولقد أظهرت هذه الآية الكريمة بعض ثمار العمل الصالح وهي:

1 ـ الاستخلاف في الأرض:

وهذا وعد قطعه اللهُ ﷻ على نفسه، وأخذه على عاتقه، بأن يستخلف أصحاب الإيمان والعمل الصالح، إنه استخلاف لعمارة الأرض وإصلاحها ونشر الخير والإيمان والأمان في ربوعها، وليس استخلاف قهر وغلبة وفساد وهدم، إنه استخلاف يحقق العدل والإنصاف، وليس استخلاف ظلم وجور، إنه استخلاف لتقرير منهج اللهُ في الأرض ونبذ منهج الطواغيت والطغيان.

2 ـ تمكين الدين:

بحيث يستقر الدين في سويداء القلوب، ويتمكن من كل خلية من خلايا الجسد، ولفظة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ توحي بالعناية الإلهية، والرعاية الربانية لأصحاب الإيمان والعمل الصالح، أي هو جل جلاله من سيمكن لهم الدين في النفوس، وفي الحياة عملاً وسلوكاً، وفي الدنيا منهجاً ودستوراً، لأن الدين إذا تمكن، فإن أمور الكون كلها تصبح مدبرة رتيبة منتظمة، وعندها تغيب أسباب الاضطراب وتسود أسباب الاستقرار.

3 ـ تحقيق الأمن بعد الخوف:

وكيف لا يتحقق الأمن ويسود، وكيف لا ينتهي الخوف ويزول، وقد عملوا الصالحات، وسدوا الثغور، وحموا بيضة الأمة، وحرسوا حماها، ونشروا العدل والمساواة، كل ذلك يورث الأمان والطمأنينة، لأن الأمة إذا قامت على أساس العدل، فلا بدّ من إشاعة الأمن في صفوفها وأرجائها، أما إن تنكّبت هذا الصراط، وفشا فيها الظلم والجور والرشوة والفساد، فإن الأمن سينزع، والاضطراب يستشري بين الناس، والاعتداء والمباغتة تكثر وتزيد.

أورد شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه اللهُ تعالى سبب نزول هذه الآية قال: مكث النبيّ ﷺ عَشْر سنين خائفاً يدعو إلى اللهُ سرّاً وعلانية، قال: ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة، قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يُصبحون في السلاح

ويُمـسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي ﷺ: «لا تَغْبُرُونَ إلّا يَسِيراً حتى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنكُمْ فِي الملأ العَظيم مُخْتَبِياً فِيهِ لَيسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ»، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ (قال: يقول: من كفر بهذه النعمة فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسقُونَ وليس يعني الكفر باللّه، قال: فأظهره الله على جزيرة العرب، فآمنوا، ثم تجبروا، فغيّر الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم)[1].

والعمل الصالح أيها السادة له مستلزمات ينبغي أن تردف به، ومقتضيات أكيدة ينبغي أن لا يجرد عنها، ولقد ذكر ربنا تبارك وتعالى كثيراً من هذه الروابط منها:

• قولـه تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البَقَرَة: 277]، فالصلاة والزكاة بحقيقتهما قمة العمل الصالح، ولكن إذا جاء الأمر على عمومه ثم خصص، فإن لهذا التخصيص شأناً كبيراً، ووقعاً في النفوس عظيماً، بل إن الصلاة والزكاة يعتبران من أهم ركائز العمل الصالح في الحياة.

• وقولـه ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هُود: 23]، والإخبات إذا سرى في العمل وتخلّله، فإنه يثمر الهداية والنور، لأن الإخبات دليل على صفاء القلب، ونقاء السريرة، وصلاح الباطن، وإذا صلح الباطن صلح الظاهر، واستقام الحال.

• وقولـه ﷻ:

﴿...إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العَصر:

(1) جامع البيان، للطبري، 18/ 121.

3]، ونلحظ كيف أن هذه الألفاظ تأتي متشابكة متساوقة في مواطنها، فتارة يعقب العمل الصالح الصلاة والزكاة، وتارة يعقبه الإخبات، وتارة يعقبه التواصي بالحق والصبر، وما ذاك إلّا ليرسم في أذهاننا الصورة الحية للعمل الصالح، والتي أحيطت من جوانبها بمدعمات وركائز تحول بينها وبين أي زغل يمكن أن يتسرب لداخلها فيفسدها، فلا بد لصلاح العمل واستمراره من روافد صافية تمنحه الحياة، وتكتب له البقاء والاستمرار.

ولقد نصب لنا مولانا تبارك وتعالى ميزاناً دقيقاً في كتابه الكريم، ومعياراً حساساً، بين الذين وقر الإيمان في قلوبهم، وسكن في قرارة نفوسهم، فوجَّه الجوارح للعمل الصالح الطيب، وضبط سلوك الإنسان بضوابط الهدى والخير، وبين الذين شردوا عن الله، وتوغلوا في تضاعيف المادة، وتلوثوا بحمأة المعصية والفساد.

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: 28]، حاشا وكلّا، شتان بين هؤلاء وأولئك، هؤلاء رضي الله عنهم وأحبهم وحباهم من فضله وكرمه، لأنهم خضعوا لمستلزمات الإيمان، وانصاعوا لأوامر الحق، وتعالوا على متطلبات الهوى، وترفعوا على ثقل الشهوة وضغطها، وأولئك سخط الله عليهم، لأنهم ركبوا متن العناد، وانغمسوا في مستنقع آسن من الفجور، وعاثوا في الأرض الفساد،وأرادوا أن ينازعوا الله في ملكه وسلطانه، فكان الحكم عليهم بالفجور والبوار.

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: 21].

أرأيتم إلى هذا المعيار الدقيق، أيظن الذين اجترحوا السيئات، ويا له من تعبير ما أدقّه وما أبلغه ﴿ٱجْتَرَحُوا۟﴾ وكأنهم أخذوا في أيديهم حديدة حادة وراحوا يطعنون بها جسد إنسان، وهذا هو مثل الذي يقترف السيئات والمعاصي، أيحسب هؤلاء الذين انخرطوا في الشهوات، وأعرضوا عن رب الأرباب، أن يعاملهم ميزان السماء كما يعامل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء في الحياة أو بعد الممات؟

لا وألف لا، وإن ظنوا ذلك فظنهم هراء، وتفكيرهم ما هو إلّا وسوسة إبليسية سوَّلها لهم، لأن الذين يعملون الصالحات هم صفوة الخلق وأفضلهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البَيِّنَة: 7]، خير الخلق على الإطلاق، وبناء عليه فإن حياتهم كلها سعادة وطمأنينة، كلها راحة وسكينة، بينما أولئك، فإنهم يعيشون حياة الضنك والشقاوة في الدارين.

وإن الله ﷻ فرق بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين الذين كفروا، كما فرق بين الإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محَمَّد: 12].

أيهـا الأحبـاب:

إن الله تبارك وتعالى بشَّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا، وحجبوا أنفسهم عن الزلات، وقاوموا تيارات الإغراء فبشرهم بجنات النعيم، وأعد لهم الجنان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أعد لهم الأنهار الجارية، والثمار اليانعة الطيبة، والأزواج المطهرة، أعد لهم لباس الذهب والفضة واللؤلؤ والحرير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَجّ: 23]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البَقَرَة: 25].

هذا هو النعيم المقيم في الآخرة، وأما في الدنيا فاسمع معي أخي الكريم إلى جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكيف يحيون حياتهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: 97].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: (في الحياة الطيبة خمسة أقوال،

الأول: أنه الرزق الحلال، **الثاني**: القناعة، **الثالث**: توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله، قال معناه الضحاك، وقال أيضاً: من عمل صالحاً وهو مؤمن في فاقة ومَيْسرة فحياتُه طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحاً فمعيشته ضَنْكٌ لا خير فيها، وقال مجاهد وقَتادة وابن زيد: هي الجنة، وقاله الحسن، وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلّا في الجنة.

وقيل: هي السعادة، وقال أبو بكر الورّاق: هي حلاوة الطاعة، وقال سهل ابن عبد الله التُسْتَرِيّ: هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويردّ تدبيره إلى الحق، وقال جعفر الصادق: هي المعرفة باللّه، وصدقُ المقام بين يدي الله، وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقارُ إلى الحق، وقيل: الرضا بالقضاء، وقال أبو صالح: جلس ناس من أهل التوراة وناس من أهل الإنجيل وناس من أهل الأوثان، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل، فنزلت)[1].

الحياة الطيبة التي لا شقاء فيها ولا كدر، ولا ضنك ولا قلق هي في حلاوة الإيمان ومتعة العبادة ومناجاة الله ﷻ.

رسول الله ﷺ لم يملك القصور ولا الكنوز ولا المركبات الفاخرة لكن... أما مدت له السعادة رواقها، وحفته الحياة الطيبة من كل جانب، كان ينام ويؤثر الحصير على جسده الشريف، وكان يمر عليه الهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار للطبخ، هكذا كان بيته، لكنه كان في روضة من رياض الجنان.

الغرب ملك كل الأسباب، أسباب الإنتاج، أسباب الرفاهية، أسباب الراحة أسباب التقدم والتطور، لكن ماذا كانت النتيجة، أين نلحظ السعادة في حياتهم، أين نجد الحياة الطيبة في دنياهم، الضنك والشقاء القلق والاضطراب، الانتحار والأمراض الفتاكة المستعصية التي لا دواء لها، الأوبئة المرعبة... الرؤوس الجرثومية، القنابل النووية، التحلل الخلقي، والانهيار الأسري، والضياع والحيرة...

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 10/ 174.

يـا مسلمـــون:

عليكم بالعمل الصالح، فإنه النجاة والفوز الأكيد يوم الزحام، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته**»، قالوا: وما يستعمله؟، قال: «**يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه**»[1].

العمل الصالح نجاة من الفتن، وعصمة من الزلل، وحصن حصين من التردي والإحن، ولذلك حضنا عليه رسول الله ﷺ فقال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[2].

بادروا بالأعمال الصالحة، فهي سفينة النجاة، وعصمة من الفتنة المدلهمة، حتى متى هذا الشرود، وإلى متى تلك الغفلة وماذا ننتظر، قال ﷺ: «**ما ينتظر أحدكم إلاَّ: غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر**»[3].

أكثروا في هذه الأيام من العمل الصّالح، أكثروا من تلاوة القرآن، أكثروا من الأذكار والتسبيح والتحميد والاستغفار، أكثروا من الصلاة والسلام على سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ، أكثروا من الصدقة، أكثروا من القيام، أكثروا من السجود، أكثروا من النوافل، قال ﷺ: «**وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[4].

قال أبو ذر: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**» قال قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً**»،

---

(1) رواه أحمد في المسند، 3/ 120، رقم: (12235).

(2) رواه مسلم، 1/ 110، رقم: (118).

(3) الحاكم في المستدرك، 4/ 356، رقم: (7906)، وصححه.

(4) رواه البخاري، 5/ 2384، رقم: (6137).

قال قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعاً أو تصنع لأخرق**»، قال قلت: يا رسول اللَّه! أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك**»[1].

فاحرصوا على خير هذه الأيام، وتفقدوا اليتامى والمساكين، وبرّ الوالدين وتوبوا إلى اللَّه تعالى واستغفروه.

أيها المسلمـــون:

العمل الصالح لا يقتصر على عبادة معينة، أو فريضة محددة، إنما هو ميدان واسع رحيب، وتصور شاسع شامل، واسمع معي هذا الحديث الذي يرويه معاذ بن جبل ﷺ قال: قلت: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، قال: «**لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره اللّه عليه: تعبد اللّه ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رَمَضَان، وتحج البيت**»، ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، قال: ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: 16، 17].

ثم قال: «**ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟**» قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: «**رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**».

ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**»، قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: فأخذ بلسانه، قال: «**كف عليك هذا**»، فقلت: يا نبي اللَّه وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلّا حصائد ألسنتهم**»[2].

فهذا الحديث قد تضمن خصالاً متعددة للعمل الصالح وآثاره في الدنيا

(1) رواه البخاري، 2/ 891، رقم: (2382).

(2) الحاكم في المستدرك، 2/ 447، رقم: (3548)، وصححه.

والآخرة، فلقد أخبره النبي ﷺ بالأعمال التي تدخله الجنة، وذكر له: الفرائض التي هي أركان الإسلام، وعدد له من أبواب الخير الكثيرة: لصوم، الصدقة، صلاة الليل، رأس الدين وعموده وذروة سنامه، رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد وملاك الأمر كله حفظ اللسان.

أيها الأحبـــاب:

إن أمنية الغافل يوم القيامة أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، إنه بعد أن يفاجأه الموت، ويلفه الكفن يبدأ بالحسرة والندامة على ما فرط وضيع من الأوقات، وهدر من السنين في الغفلة والمعصية، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99، 100].

وفي موضع آخر يصف القرآن حالهم وتحسرهم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 37].

لكن هل يفيد الندم بعد فوات الأوان؟ ألم تنعموا بفسحة من الوقت والعمر، وهي فترة كافية لصالح الأعمال والمسارعة في الخيرات؟

اللّهم لا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين، واجعلنا من عبادك الصالحين، يا رب العالمين.